الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

مغامرات شارلوك هولمز

The SPECKLED BAND

الشّريط المرقّط

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد
سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 2262422 11 00963
ص.ب: 31453 - agyalalg adsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

8

مغامرات شارلوك هولمز

The SPECKLED BAND

الشّريط المرقّط

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
شباط 1892

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمةٌ

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشَّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التَّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدَّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشَّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته

العقليـة، وتفكـيره مـن أجـل الوصـول إلى حـل كل لغـز اشـتركت فيـه. وكأنَّهـا (أي شـخصية هولمـز) كانـت تحـث القـارئ دومـاً وتحفـزه للوصـول إلى الحقيقـة، أو حـل اللّغـز المطروح بشـكلٍ يجعل القـارئ يضطر لاسـتخدام كل ملكاته الفكريَّـة والعقليـة للوصـول مـع هولمز وواطسـون إلى حقيقة الأمـر، أو حتَّى أن يسـبقهما في التَّوصل للحقيقـة. الطَّريف في شـخصية هولمـز أنَّهـا وعلى الرغم مـن أنَّها تقـدِّم لنا شـخصاً مـن لنـدن في نهايـة القـرن التَّاسـع عـشر إلا أنَّهـا مـن خـلال طريقـة تعاملهـا مـع مـا حولهـا ومـن حولهـا تبـدو شـخصية أكثـر معـاصرة وكأنَّ كونـان دويـل نجـح بتحويلهـا إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهـم مـن شـخصية هولمـز التـي تتسـيَّد كل قصـص كونـان دويل هي شـخصيَّة كاتبهـا التي تشي بشـخص عاش حياتـه كتجربـةٍ عظيمـةٍ تمكَّـن إلى أقصى حـد في تصويرها من خـلال شـخصية هولمـز، أحيانـاً وشـخصية د. واطسـون بصـورةٍ أكـبر وأكثر جـلاء. كما تمكّـن الفنان سـيدني باجيت مـن ابتـداع صـورة نمطيـة محـدَّدة ومشـوِّقة للسـيد هولمـز في

أذهاننـا، مـع مواكبـة قصـص كونان دويـل برسـومات جميلة جعلـت صـورة هولمـز المرتـدي لقبعتـه المميـزة. وغليونـه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل

مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولـد الطبيـب والروائـي البريطـاني السـير آرثـر كونـان دويل في أدنبرة باسـكتلندا سـنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التـي ابتدعهـا «شـارلوك هولـمز» لرجـل التَّحـري الذَّكـي القـادر على فـك ألغاز الجرائـم، معتمداً على امكاناتـه الذِّهنية وقـوة الملاحظـة، واتبـاع طريقـة الملاحظـة والتَّحليـل والاسـتنتاج بالاعتـماد عـلى العلـم والمنطـق، هذه الشَّـخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقـد مُثلـت العديـد مـن رواياتـه وقصصـه، وتحوَّلت إلى أفـلام سـينمائية وأفـلام كارتونية. وقد هجر السـير آرثر دويل مهنـة الطّـب بعد أن مارسـها ثماني سـنوات، واتَّجـه إلى الأدب، واسـتطاع أن يبـدع فيه. بـدأ حياته الأدبية سـنة 1887 بكتابة القصـص القصـيرة للمجـلات بهـدف زيـادة دخلـه. يقـول

النَّاقـد كريسـتوفر مورلي عـن شـارلوك هولمز: لم يحـدث أبداً أن نالـت شـخصيَّة روائيَّـة هـذا الحـظ مـن القدرة عـلى امتاع القـرَّاء والالتصـاق بهـم بمثـل مـا نالـت شـخصية شـارلوك هولـمز. فالسـير آرثـر دويـل بعـد أن مـارس مهنـة الطِّـب في عيادتـه التـي لم يكـن يزورهـا إلا النُّـزر اليسـير مـن المـرضى، كان يجـد أوقاتـاً كبـيرة من الفـراغ، شـغلها بكتابـة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّـه وبعـد نـشر روايته الأولى عن شـارلوك هولمز سـنة 1887 أخـذ نجمـه في الصّعـود. وبلغـت مجمـوع القصـص والرِّوايـات التـي كتبهـا السـير آرثـر دويـل وظهـرت فيهـا شـخصية شـارلوك هولـمز حـوالي 60 عمـلاً، جُلَّهـا مـن القصـص القصـيرة ، حتَّى أصبح السـير آرثر دويـل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظـراً لجهـوده في دعـم الحكومـة البريطانيـة في حـرب البوير «1899 - 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدَّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من

هـذه القضايـا الصَّغـيرة، مُركِـزَةً عـلى القضايـا المشـوِّقة التي تتطلَّـب منـه القيام بتحريك سـاقيه فعـلاً. يتخصَّص هولمز في حـل القضايـا الغريبـة مسـتخدماً قـواه الاسـتثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشـكلٍ دائم في الوسـائط الإعلاميـة المختلفة مرتديـاً قبعـة صائد الأيائـل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسـكاً بعدسـةٍ مكـبرة. ويوصـف هولمـز بأنَّـه سـيدٌ إنجليـزي مـن الطِّـراز الفيكتـوري، طويـلٌ ورشـيقٌ، لـه عينـان حادَّتـان دقيقتـان، وأنـف معقـوف. بالرُّغـم مـن قامتـه النَّحيلـة فـإنَّ قدراتـه البدنيَّـة عاليـة. هـو ملاكـمٌ ومبـارزٌ ماهرٌ، وعـادة ما يتغلَّـب عـلى خصومـه في المـرات القليلـة نسـبيّاً التـي اضطر فيهـا للاشـتباك جسـديّاً. وفي مغامـرة إكليـل العقيـق يقـول هولمـز أنَّـه: (يمتلك قوة اسـتثنائية في أصابعه). أمَّـا في مغامرة المنـزل الفـارغ فيذكـر أنَّـه: (يمتلـك القليل مـن المعرفة حول المصارعـة اليابانيـة). كان يعيـش هولمـز في لندن شـارع بيكر عنوان 221 B.

في أوَّل قصصه، دراسة بالقرمزي، قُدِمَت بعض

المعلومات عن خلفية هولمز. قُدِم في 4 آذار 1881 على أنَّه طالب كيمياء مستقل، له مجموعةٌ واسعةٌ من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإنَّ كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكِّرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشَّديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أنَّ جدَّته كانت شقيقة الرَّسام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفء، ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريَّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلت إحدى الشَّفرات في مغامرة الرِّجال الرَّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليَّة.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التَّنكر بعد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحيَّة أو سبَّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلَّة الجنائيَّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياه، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرَّصاص المستخدَم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نوروود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في B 221 شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتّى أنّ الكثيرين من القرّاء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشّخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذّاتيَّة، كما أنَّه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنَّه يروي القصص بشكلٍ مثيرٍ، مبتعداً عن الطَّريقة الموضوعية والمفصَّلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشَّيء

كرجل يميل إلى النّساء، يتكلَّم بحب عن بعض النِّساء، وفي بعض القصص الطَّويلة كثيراً ما يركِّز على جمال امرأة معيَّنة، وفي النِّهاية فإنَّه يتزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي
«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتَّى ليثبت حلوله الخاصَّة، ويُفضِل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن يتحمَّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شروحات ثبت صحتها فيما بعد، غير أنَّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

الشّريط المرقّط

فيما كنتُ أُلقي نظرةً على ملاحظاتي حول القضايا السّبعين الغريبة التي درستها خلال الأعوام الثّمانية الماضية، ودرست من خلالها الطّرق التي كان يتبعها صديقي شارلوك هولمز، فوجدتُ فيها الكثير من السحر والغرابة البعيدة كل البعد عن الابتذال، إضافةً إلى ما تحويه من مواقف طريفة.

لقد كان يعمل بشكلٍ متميِّز وممتاز، لأنّه كان يحب ما يفعله ويعمل مخلصاً من أجل ذلك، ولا يفعل ذلك من أجل المال أو تكوين ثروة لذلك رفض دوماً الاشتراك في أي تحقيق لا يخرج عن المألوف، وحتى إذا كان تحقيقاً لا يوجد فيه شيء من الخيال.

لكني لا أنسى واحدةً من قضاياه المميّزة وهي قضية

أسرة روبلوتس الشّهيرة في ستوك موران.

لقد حدث ذلك في بداية شهر نيسان من العام 1883 حيث استيقظتُ ذات صباح لأجد شارلوك هولمز واقفاً فوق رأسي فيما كنت لا زلت في سريري وكان بثيابه الكاملة.

لقد كان معتاداً أن يصحو متأخّراً لذلك استغربتُ وجوده بقربي في هذا الوقت المبكّر، فنظرتُ إليه متعجباً بشيءٍ من القلق لأنّي أنا أيضاً منتظم في عاداتي اليومية.

قال: آسف لإيقاظك.

- ما الأمر؟ هل حدث حريق؟

- لا، إنّها مجرد زبونة. لقد وصلت شابة متوترة جداً على ما يبدو وتصر على مقابلتي.

إنها تنتظر في غرفة الجلوس.

أنا واثق من أنك لن تتوانى عن الاهتمام بهذه القضية الهامة إذا تبيّن أنها مثيرة بما يكفي. لذلك ارتأيت أن أوقظك حتّى لا تفوتك الفرصة بمتابعة القضية منذ البداية.

- لم أفوِّت هذه الفرصة مقابل أي شيء في العالم ياعزيزي.

كان جل ما أردته متابعة هولمز وهو يجري تحقيقاته لكي استمتع باستنتاجاته السّريعة والصحيحة التي كان يتوصّل لها بالاعتماد على المنطق، والتي كان يجد من خلالها مفتاح الحل للمشاكل التي يعمل علي حلها.

ارتديت ثيابي بسرعةٍ، وما هي إلا دقائق معدودة حتّى أصبحت جاهزاً لمرافقة صديقي إلى غرفة الجلوس حيث تنتظرنا الشّابة.

كانت سيدة ترتدي ملابس سوداء وتُخفي وجهها خلف حجاب منتظرة قُرب النّافذة. وما أن دخلنا حتّى نهضت من مكانها.

قال هولمز مرحِّباً: صباح الخير سيدتي. أنا شارلوك هولمز وهذا شريكي وصديقي الدكتور واطسون الذي يمكنكِ أن تتحدّثي بحضوره بحريّةٍ مطلقة. سأطلب لك فنجان ساخن من القهوة إذ يبدو أنّكِ ترتعدين من البرد.



أجابت السّيدة بصوتٍ خافت: لا أرتعد من البرد، بل من الخوف يا سيد هولمز، بل إني أرتعد رعباً!

ثمّ نهضت لنرى فعلاً أنّ إمارات الخوف والرُّعب باديةً بوضوح على وجهها، وكأنّها حيوان مُطارَد.

بدت شابة في الثّلاثين من العمر، لكن شعرها بدأ يشيب. أشاح شارلوك هولمز بعينيه بعيداً عنها بعد أن تفحّصها بسرعةٍ من رأسها لأخمص قدميها كما اعتاد أن يفعل.

قال بلطف وهو يتقدّم نحوها ويربت على يدها مطمئناً: لا تخشي شيئاً. أنا واثق من أنّنا سنسوي الأمور بأسرع وقت. لقد أتيت بالقطار هذا الصّباح كما أرى.

- أنت تعرفني إذن، أليس كذلك؟

- لا، لكنّي لمحت النّصف الثّاني لتذكرة العودة في قفازك الأيسر.

فوجئت السيدة من ملاحظته الدّقيقة ونظرت إليه بتعجُّب، فتابع باسماً: لا يوجد شيء يخفى عليّ يا سيدتي.

- بغض النّظر عن الأسباب التي تسوقها، أنت على حق. لقد سمعت عنك يا سيد هولمز من السيدة فارينتوش.

آه، سيدي ألا تعتقد أنّه يمكنك مساعدتي أنا أيضاً، وعلى الأقل تُوضح لي ما يحدث حولي؟ في الوقت الحالي، أنا غير قادرة على مكافأتك على الخدمات التي ستسديها لي، لكنّي سأتزوج بعد شهر أو شهرين وأصبح سيدة مسؤولة عن دخلي الخاص بي وعندها لن أتوانى عن تسديد دَيني لك.

استدار هولمز نحو مكتبه وفتح الدّرج ليخرج منه دفتراً صغيراً أخذ يتفحّص محتوياته.

قال: فارينتوش، آه، نعم لقد تذكّرت القضيّة.

أعتقد أنّها إحدى القضايا التي عملتُ عليها قبل أن تقطن معي يا واطسون.

كل ما يسعني قوله الآن يا سيدتي أنّه من دواعي سروري أن أبذل كل ما بوسعي، كما فعلت في قضية السيدة فارينتوش، لكي أخدمك.

أمّا بخصوص المكافأة فإنّ عملي بالنّسبة لي هو أعظم مكافأة. أرجو منك أن تخبرينا كل ما قد يفيدنا بشأن قضيتك.

- إنّ أكثر ما يثير الرّعب في نفسي يكمن في حقيقة أنّ مخاوفي مرتكزةً أساساً على الخوف من شيء مجهول لا أعرفه.

إنّ شكوكي تتعلّق بتفاصيل صغيرة قد تبدو تافهةً للآخرين، لكنّي سمعت أنّكَ قد تنصحني يا سيد هولمز حول كيفية حماية نفسي من المخاطر التي تحدق بي.

- أنا أنصت بانتباهٍ تام لما ستقولينه يا سيدتي.

- اسمي هيلين ستونر، وأعيش مع زوج والدتي الذي يعتبر آخر فرد في واحدة من أقدم الأسر السّاكسونية الأصلية في انكلترا، آل رويلوتس من ستوك موران الواقعة على الحدود الغربية لمنطقة سيري.

هزّ هولمز رأسه دلالة معرفته باسم العائلة وقال: هذا الاسم ليس غريباً عليّ.

- كانت هذه العائلة فيما مضى واحدةً من أغنى عائلات انكلترا، لينتهي الأمر بآخر أفراد هذه الأسرة بأن يمضي حياةً رهيبةً في الفقر بعد كونه من أصول أرستقراطية غنيّة. لكن ابنه الوحيد، زوج والدتي، ونتيجة إدراكه لضرورة التّأقلم مع الظُّروف الجديدة، حصل على قرضٍ من أحد أقاربه، ونال شهادةً في الطّب وسافر إلى كالكوتا في الهند، حيث فتح عيادةً هناك مستثمراً مهاراته الاحترافية العالية في الطّب وقوة شخصيّته.

وهناك تزوّج بوالدتي السيدة ستونر والتي كانت حينها أرملة الجنرال ستونر الشّابة.

كنا أنا وشقيقتي التّوأم جوليا في الثّانية من العمر عندما تزوّجت أمي الدُّكتور رويلوت.

وكانت أمي حينها تملك ثروةً كبيرةً، لكنّها توفيت بعد وقتٍ قصيرٍ من عودتنا إلى انكلترا، تحديداً قبل ثمان سنوات في حادث قطار.

عندها توقف د. رويلوت عن محاولاته لفتح عيادة في لندن واصطحبنا معه للعيش في المنزل القديم في ستوك موران.

وكان المال الذي ورثناه عن والدتي كافياً ليجعلنا نعيش حياةً رغيدةً دون الحاجة لشيء، وبدا أنّه لا يوجد ما يعيق أن نعيش حياتنا بسعادةٍ.

لكن تغيراً رهيباً طرأ على شخصيّة زوج والدتنا، وبدلاً من الحصول على أصدقاء جدد وتكوين حياةً اجتماعيّةً جيِّدة بتبادل الزّيارات مع الجيران، عوضاً عن ذلك أغلق على نفسه الباب ونادراً ما كان يخرج منه لافتعال شجار عنيف مع كل من يُصادفه.



أتصوّر أنّك سوف تستنتج مما قلته أنّني وشقيقتي فقدنا حب الحياة.

كانت شقيقتي في الثّلاثين من عمرها عندما توفيت، لكن شعرها كان بدأ يَشيب مثلما يحدث معي أنا الآن في واقع الأمر.

- هذا يعني أنّ شقيقتك متوفاة؟

- توفيت قبل عامين وقد جئتُ لأحدثك عن وفاتها بالتّحديد.

كنّا نادراً ما نلتقي مع أحد من نفس عمرنا نظراً للظروف التي كنا نعيش فيها.

كانت لنا خالة هي السّيدة هونريا ويستفيل وهي تقطن قرب هارو، وكان يُسمح لنا بزيارتها من حينٍ لآخر. قبل عامين، ذهبت جوليا لتمضي عيد الميلاد عندها، وهناك التقت رائداً في سلاح البحرية وخُطبت له. علم زوج والدتي بالأمر بعد عودتها ولم يعترض أبداً على الأمر.

لكن قبل موعد الزفاف بأسبوعين، حدث أمر رهيب جعلني أفقد رفيقتي الوحيدة في هذه الحياة.

كان هولمز مستلقياً على كرسيه واضعاً رأسه على وسادة، مغمض العينين وهو يستمع، لكنّه فتحهما فجأة بعد أنت قالت زائرتنا جملتها الأخيرة وسألها مستوضحاً: أرجوك أريد مزيداً من التّفاصيل.

- هذا ليس بالطّلب الصّعب، لأنّي أذكر أدق التّفاصيل، فهي لا زالت مطبوعة في ذهني وكأنّها تحدث الآن.

إنّ المنزل الذي نقطنه قديمٌ جداً كما أشرتُ سابقاً، وهناك جناحٌ واحدٌ منه مسكون.

تقع غرف النّوم في الطّابق الأرضي من هذا الجناح، وغرفة الجلوس في الوسط.

أول غرفة نوم كانت للدّكتور رويلوت والثّانية لشقيقتي، والثّالثة لي، وكلها منفصلة عن بعضها البعض، لكنّها تُفتح على نفس الممر.

هل الصورة واضحة؟

- واضحةٌ تماماً.

- في تلك اللّيلة المشؤومة، توجّه الدكتور رويلوت إلى غرفته باكراً لأنّ رائحة السيجار الهندي الذي يُدخنه قد

أزعجت شقيقتي، التي بدورها تركت غرفتها وأوت إلى غرفتي لبعض الوقت تحدّثنا فيها عن ترتيبات الزفاف.

وفي الحادية عشرة ليلاً، كانت على وشك التّوجه إلى غرفتها لكنّها توقّفت قبل أن تغادر عند باب غرفتي لتسألني: أخبريني يا هيلين، هل سمعتِ أحدهم يصفّر هذه اللّيلة؟

- لا، أبداً، لماذا تسألين مثل هذا السؤال؟



- لأنّي سـمعتُ صـوت صفـير خافـت، لكنّه واضـحٌ تمام الثّالثة صباحاً منذ عدة أيام.

على كل حال هذا غير مهم الآن.

بعـد ذلـك ابتسـمت وخرجـت مقفلـة البـاب خلفهـا ثمّ سمعتها توصد باب غرفتها بالمفتاح.

سـأل هولمـز: وهـل كنتـما معتادتـين عـلى إقفـال بـابي غرفتيكما عند النّوم؟

- دائماً.

- لماذا؟

- لأنّ الدّكتـور كان يقتنـي فهـداً و قرداً كبـيراً (غوريلا)، وكان مـن الطّبيعـي أن نخشـاهما وأن نوصـد الأبـواب حتّى نشعر بالأمان.

- حسناً. تابعي من فضلك.

- لم يغمـض لي جفـنٌ تلـك اللّيلـة. كان شـعورٌ غريـبٌ بالقلق يتملّكني.

كانـت الريـاح تعصـف بشـدّة والمطـر ينهمـر بغـزارة

ويضرب النّوافذ بعنف.

وفجأة انطلقت صرخةً عظيمةً من امرأةٍ مرتعبة. عرفت فوراً أنّه صوت أختي، فقفزتُ عن سريري واندفعت إلى الممر. وما أن فتحت باب غرفتي، بدا لي أنّي سمعت صوت صفيرٍ منخفض، كالذي كانت شقيقتي قد وصفته، وبعد بضع لحظات سمعت صوت سقوط قطعة حديدية على الأرض.

وصلت إلى باب غرفة أختي فلم أجده مقفلاً. وعندما نظرتُ إلى الدّاخل رأيت على ضوء المصباح شقيقتي وقد تحوّل لونها إلى الأبيض من شدّة الخوف وهي تمد يدها طلباً للنّجدة.

سارعت إليها أضمها إلى صدري لكنّ قدميها لم تستطيعان حملها لشدة رعبها فوقعت على الأرض.

كانت تتلوّى كمن يُعاني آلاماً مُبرّحة. وعندما انحنيتُ حتّى أساعدها، قالت بنبرة لن أنساها: ياإلهي! ياإلهي! ياإلهي ياهيلين! إنّه الشّريط! الشّريط المرقّط! وأشارت إلى غرفة الدّكتور رويلوت.



عندما خرجتُ من غرفتها لأناديه فرأيته يهرع من غرفته بثياب النّوم.

عندما وصل إلى غرفة جوليا كانت قد فقدت الوعي ولم تنجح كل محاولاتنا لإنقاذها، ففارقت الحياة دون أن تستعيد وعيها. وكانت تلك النّهاية المؤلمة لشقيقتي الغالية.

قال هولمز: مهلاً لحظة لو سمحت، هل أنتِ متأكّدة من صوت الصّفير الخافت وصوت سقوط الجسم الحديدي؟

- أنا واثقةٌ تماماً.

- هل كانت شقيقتك ترتدي ثيابها؟

- لا، بل ترتدي ثوب النّوم. كانت تحمل بيدها اليمنى عود ثقاب محترق، وفي الأخرى علبة أعواد الثقاب.

- ما يعني أنّها هي من قامت بإضاءة المصباح ونظرت حولها عندما صدر الإنذار.

هذه نقطة هامة.

وماذا قالت الشرطة؟

- تـولّى التّحقيـق بالموضـوع محقّق ودقّـق بها بعنايـةٍ كبيرةٍ إكرامـاً للدّكتـور رويلوت الذّائـع الصيت في المنطقـة، لكنّه لم يعثر على أي سبب معقول لوفاة جوليا.

مـن المؤكّـد أنّهـا كانـت في الغرفـة وحدها حـين واجهت الموت، خاصّةً أنّه لا توجد أي آثار للعنف على جسدها.

- ماذا عن السُّم؟

- تحقّق الأطباء من هذا الاحتمال لكن دون جدوى.

- ما سبب وفاتها برأيك؟

- لعلهـا توفيـت من شـدّة الخـوف، وإثر صدمـةٍ عصبيّةٍ، مـع أنّي لا أرى مـا الـذي يُمكـن أن يكـون قد أرعبهـا لدرجة الموت.

- ما قولك بهلوستها حول الشّريط، الشّريط المرقّط؟

- لقـد اعتقـدتُ أحياناً أنّها مجرّد هلوسـة، لكنّـي في أحيانٍ أخـرى كنـت أرى فيهـا إشـارةً حقيقيّـةً إلى زُمـرة أشـخاص ربـما أولئـك الغجر في الحقـل. لسـتُ أدري مـا إذا كان للأمر علاقة بالمناديل المزركشة التي يضعونها على رؤوسهم.

هزّ هولمز رأسه غير مقتنع بالتَّفسير وقال: إنّها قضية معقّدة. تابعي من فضلك.

- مرَّ عامان منذ الحادثة، وقد عشت خلالها وحيدة أكثر مما مضى، إلى أن طلب يدي قبل شهر صديقٌ عزيزٌ أعرفه منذ سنوات يُدعى أرميتاج، بيرسي أرميتاج.

لم يعترض زوج والدتي على الزَّواج الذي من المقرّر أن يتم في الرّبيع القادم.

وقد تمَّ البدء بأعمال الصِّيانة قبل يومين في الجناح الغربي من المنزل، فاضطررْتُ إلى الانتقال إلى الغرفة التي كانت تعود لأختي والنَّوم في سريرها.

ولك أن تتصوَّر مدى ذعري ليلة أمس فيها كنتُ مستلقية على سريرها عندما سمعت فجأةً صوت الصّفير الخافت الذي أنذر بوفاتها.

نهضتُ من السَّرير مسرعةً وأضأتُ المصباح لكنّي لم أر شيئاً في الغرفة، إلا أنَّ النّوم جافاني لشدّة الخوف، فارتديتُ ثيابي وما أن طلع النّهار حتّى أسرعتُ إليكَ علَّك تُقدِّم لي النَّصيحة وتُساعدني في حل هذا اللُّغز المخيف.

أجـابَ صديقي: حسـناً فَعَلـتِ. لكن هل أنـتِ واثقةً من أنّك أخبرتني كل شيء؟

- نعم.

- لا يـا آسـنة سـتونر. أنت تتسـتّرين عـلى زوج المرحومة والدتك.

- ماذا تعني؟

وكان جـواب هولـمز بـأن رفـع الشَّريـط الأسـود الـذي يُغطِّـي يدها التـي كانت تضعهـا على ركبتهـا، فظهرت خمس نقـاط هـي علامـات أربعـة أصابـع وإبهـام مطبوعـة عـلى المعصم.

- لقد أُسيئت معاملتك.

صبغـت الحمـرة وجه الفتـاة وغطّـت معصمهـا المجروح وهي تقول مبرِّرةً: إنّه رجلٌ قاسٍ.

خيّـم الصَّمـت لبرهـةٍ مـن الزَّمن بعـد ذلك وضـع خلاله هولـمز وجهـه بـين يديـه، فيـما كان يُحـدِّق في نـار الموقـد، ثـمَّ كـسر حاجـز الصّمـت قائـلاً: أودُ التَّحقيـق مـن الكثـير مـن التَّفاصيل قبل أن أقرِّر الخطوة التّالية، لكنّا علينا أن نُسرِع.

هل يمكننا رؤية الغرفتين غداً في ستوك موران دون علم زوج أمِّك؟

- سيكون خارج المنزل طوال النّهار على الأرجح.

سأل شارلوك هولمز بعد أن غادرت الفتاة وقد جلس مُجدَّداً على كرسيه: ما رأيك يا واطسون؟

- تبدو لي واحدةً من أكثر القضايا غموضاً وشرّاً.

- إذا ما ربطنا بين الصّفير الخافت في اللّيل ووجود زمرة من الغجر على مسافة قريبة جداً من الطّبيب العجوز، وكون هذا الأخير له مصلحة في منع زواج ابنة زوجته، والإشارة الأخيرة إلى الشّريط المرقَّط، وأخيراً سماع الآنسة هيلين ستونر رنيناً معدنياً لعلّه ناجم عن سقوط جسم معدني على الأرض، أو أحد القضيبين الحديديين في قفل الباب، كلّها عناصر تجعلنا نظن أنَّ مفتاح اللّغز في هذا السِّياق.

- لكن ما علاقة الغجر بالموضوع وما دورهم؟

- لا أعرف.

- ثمّة عوائق كثيرة أمام هذه النَّظريَّة.



- هـذا صحيح. لذلك سنذهب إلى ستوك موران. لكن ما هذا بالله عليك؟

فُتح الباب بشكلٍ عنيف فجأة ودخل منه رجل عملاق يرتدي زيّاً لا يُعرَف منه إذا كان صاحبه فلاحاً أم سيِّداً بلباسٍ رسمي.

سأل الرّجل: من منكما هولمز؟

أجاب صديقي بهدوء: أنا هولمز يا سيدي.

- أنا الدّكتور غريمبي رويلوت من ستوك موران.

- أجابه هولمز بلطفٍ مجدّداً: أهلاً، تفضّل بالجلوس.

- لن أفعل. لقد جاءت ابنة زوجتي إلى هنا وقد تبعتها دون أن تراني. ماذا قالت لك؟

- الطَّقس باردٌ بعض الشّيء بالنّسبة لهذا الوقت من العام.

صاح العجوز بنفاذ صبرٍ وغضبٍ: ماذا قالت لك؟

فتابع صديقي حديثه برباطة جأشٍ: لكنّي سمعتُ أنَّ موسم الزَّعفران سيكون جيداً لهذا العام.

دنا العجوز من صديقي قائلاً: تريد إثارة أعصابي، أليس هذا ما تصبو إليه؟!

أنا أعرفُك جيّداً أيّها النّذل! لقد سمعتُ عنك من قبل. إنّك أنت هولمز المتطفِّل.

ابتسم صديقي.

- هولمز الفضولي!

ابتسم هولمز مجدّداً وبشكلٍ أكثر هذه المرة وقال: حديثُكَ مُسَلٍّ جدًّاً. أقفل الباب وراءك لو سمحت حين تخرج لأنّ الرِّيح قويَّة في الخارج.

- سأخرج حالما أقول ما لدي. إيّاكَ أن تتجرَّأ وتتدخَّل بشؤوني.

لقد تتبعتها! إني شخص خطير إذا أردت أن تحاول التّلاعب معي أو تستغفلني! أنصحك أن تتفادى الوقوع في قبضتي! ثمّ اندفع خارجاً كما دخل.

بعد خروجه، علّق هولمز ضاحكاً على هذا المشهد المخيف: يبدو شخصاً لطيفاً جدّاً.

حالفنا الحظ في واترلو بأن لحقنا بقطار ليذرهيد. وقطعنا أربعة أو خمسة أميال وسط حقول سورييه الرّائعة الجمال.

كان يوماً جميلاً سطعت شمسه بين سحابات خفيفة.

جلس صديقي في مقدِّمة المقصورة مكتّف اليدين وقد أرخى قبّعته على عينيه واضعاً ذقنه على صدره ومستغرقاً في التّفكير.

عندما وصلنا، هبطنا من المقصورة بعد أن سدّدنا ماتوجّب علينا لقاء الرّحلة ورأينا القطار يتابع رحلته باتّجاه ليذرهيد.

– طاب يومُكِ يا آنسة ستونر. لقد جئنا كما وعدنا وها نحن ذا.

كان الفرح بادياً على وجه زبونتنا الشَّابة اليوم عندما همّت بلقائنا وقالت بسرور: كنت بانتظاركما.

صافحتْنا بحرارةٍ ثمّ تابعت كلامها: كل شيء على ما يُرام. لقد ذهب الدُّكتور رويلوت إلى البلدة ولن يعود قبل حلول المساء.



– لقد تشرَّفنا بلقائهِ والتّعرُّف عليه.

– يا إلهي! لقد كان يتتبّعني إذن!

– نعم، على ما يبدو كان كذلك.

– إنَّه خبيثٌ لدرجة أنّي لا أطمئن أبداً لوجودي معه. ماذا تراه يقول عندما يعود؟

– عليه أن ينتبه لأنّه قد يجد من هو أشد خبثاً منه. علينا الآن ألا نضيع المزيد من الوقت. هل يمكنك اصطحابنا إلى الغرف حتّى نتفحَّصها جيِّداً؟

كان المنزل عبارةً عن بناء رمادي اللّون، فيه قسم مركزي كبير وجناحان مُحاذيان في كلا الجانبين. بدا زجاج النَّوافذ محطّماً في أحد الجناحين، وقد وضع عوض عنه ألواحاً خشبيّة. لم يكن هناك أي أثر لأي عامل أثناء زيارتنا. أخذ هولمز يروِّج ويجيء على مهل حول البناء مُراقباً النَّوافذ من الخارج بعنايةٍ فائقةٍ.

- أعتقد أنَّ هذه هي الغرفة حيث تنامين وتلك الوسطى غرفة أختك، وتلك التي تقع بمحاذاة البناء المركزي هي غرفة الدكتور رويلوت، أليس كذلك؟

- بالضّبط. لكنِّي أنام الآن في الغرفة الوسطى.

- بالمناسبة، لا يبدو أنَّ هناك حاجة ملحّة لترميم الجدار.

- هذا صحيح. أعتقد أنّه مجرَّد عذر اختلقه زوج أمّي لنقلي من غرفتي.

- هذا ملفتٌ للنَّظر. إنّ الممر الذي تلتقي عنده جميع الغرف يقع في الجهة الأخرى من هذا الجناح الضّيِّق، وطبعاً فيه نوافذ، أليس كذلك؟



- هذا صحيح، لكنّها صغيرةٌ جدّاً بحيث لا يستطيع أي شخص المرور عبرها.

- إذن من المستحيل الاقتراب من غرفتيكما أنتِ وأختكِ من هذه الجهة بما أنّكما تُوصدان بابي غرفتيكما ليلاً.

هل يمكنك الذّهاب إلى غرفتك وإغلاق الباب على نفسك من الدّاخل؟

قامت بما طلبه هولمز الذي اكتشف أنّ الدّخول إلى الغرفة من الخارج مستحيل إذا كانت موصدةً حيث لا يوجد أي فتحة ولو صغيرة لإدخال سكين وفتح المصراعين.

وقال: لا شك أنّ إثبات وجهة نظري أصبح أكثر صعوبة الآن.

لا أحد يُمكنه فتح المصراعين بعد الإقفال من الدَّاخل.

علينا أن نستوضح أموراً أكثر ونُلقي مزيداً من الضَّوء على القضيّة.

لم يُعاين هولمز الغرفة الثّالثة فانتقلنا مباشرةً إلى الغُرفة

الثّالثة ثمَّ إلى الغرفة التي تنام فيها حالياً الآنسة ستونر وحيث لقيت شقيقتها حتفها.

كانت غرفةً عاديّة صغيرةً، وكان سقفها منخفضاً وفيها مدفأة ضمن الحائط.

كانت الغرفة مصمّمة على طراز الغرف الرِّيفية التّقليديَّة ولم يكن فيها سوى عدداً محدوداً من قطع الأثاث.

أخذ هولمز أحد الكراسي ووضعه في أحد الزّوايا ثمَّ جلس عليه صامتاً يجول بنظره في أرجاء الغرفة متمعِّناً في أدق تفاصيلها.

وسأل بعد أن لاحظ وجود حبل جرس قرب السرير: إلى أين يصل حبل الجَّرس هذا؟

- إلى غرفة مدبِّرة المنزل.

- يبدو جديداً بالنِّسبة لبقيّة أثاث الغرفة القديم.

- نعم، لقد تمّ تركيبه هنا قبل بضع سنين.

- بناءً على طلب شقيقتك؟

- لا، فهي لم تستخدمه أبداً.

- في الواقع، من المُستَغرب وضع جرس كهذا هنا. المعذرة أريد أن أتحقَّق من الأرضيَّة.

تمدَّد على الأرض وبيده عدسته المكبرة وأخذ يُدقِّق في كافة أرجاء أرضية الغرفة وفي الفجوات بين الألواح الخشبيّة في الأرضية، ثمّ دقّق بعدسته المكبِّرة كل قطع الأثاث الخشبي في الغرفة.

بعد ذلك همس قائلاً: هناك شيء أو شيئين يُثيران الاستغراب في هذه الغرفة.

على سبيل المثال، أي بنّاء أحمق يضع فتحة تهوية تؤدِّي إلى الغرفة المجاورة عوضاً عن فتحها باتّجاه الخارج حيث الهواء النّقي وحيث الأمر أسهل بالنِّسبة له.

أجابت الآنسة ستونر: إنّه تصميمٌ حديث للبناء.

كانت غرفة الدكتور رويلوت أكثر اتّساعاً من غرفتي الفتاتين، لكنّها كانت تحوي نفس كميّة الأثاث القليلة. تجوّل هولمز فيها على مهل مدقِّقاً وفاحصاً كل تفاصيلها باهتمامٍ كبيرٍ.

وعندما وصل إلى الخزنة سأل: ماذا يوجد فيها؟

– أوراق خاصة بعمل زوج أمي.

– إذن فقد رأيتِ أنتِ ما فيها بنفسكِ؟

– مرَّةً واحدةً فقط قبل سنة تقريباً. أذكر أنَّها مليئةً بالأوراق.



– ألا يوجد فيها هر مثلاً؟

– لا، قطعاً. يا لها من فكرة!

– حسناً، انظري إلى هذا!

وتناول وعاء حليب صغير موضوع فوقها.

- لا يوجد هر هنا بل إنَّ زوج أمي يملك كما أخبرتك أمس فهداً وقرد بابون (ربّاح).

- نعم هذا صحيح، لكنّي أودُّ التّأكُّد من نقطةٍ أخرى لو سمحت.

واقترب من الكرسي الخشبي وأخذ يفحصه بدقةٍ متناهيةٍ بعد أن انحنى على الأرض. ثمَّ نهض وقال وهو يعيد العدسة المكبرة إلى جيبه: شكراً لك. هذا كل شيء. لقد تمَّت تسوية المسألة. آه، ما هذا؟! إنَّه أمرٌ مثيرٌ للاهتمام!

لقد لفت نظره سوطٌ صغيرٌ موجود في إحدى زوايا السَّرير. كان ملفوفاً ومعقوداً على شكل حلقةٍ.

- ما هذا برأيكَ يا واطسون؟

- إنّه سوطٌ عادي. لكنِّي لا أعرف لما هو معقود.

- هذا غريب، أليس كذلك؟ آه، يا له من عالم شرير وفاسد.

إنَّ أسوأ ما فيه أن يوظِّف الإنسان ذكاؤه لارتكاب الجرائم وفعل الرَّذيلة.

لقد اكتفيتُ هنا يا آنسة ستونر، لو سمحت لنا نود أن نخرج قليلاً إلى المرج والحديقة المحيطة بالمنزل.

تجولنا هناك عدّة مرّات، وبقينا أنا والآنسة ستونر هادئين حتّى لا نقطع سلسلة أفكار صديقي هولمز وهو يُحلِّل برأسه معطيات القضية. بقي صامتاً لفترةٍ ثمَّ قال: من المهم جداً يا آسنة ستونر أن تتبعي التّعليمات التي سأقولها لك بحذافيرها.

- سأفعل.

- إنّ الأمر لا يحتمل أن تكوني متردِّدة. إنّ حياتك رهن باتباعك هذه التّعليمات.

- سأضع مصيري بين يديك وأنا مطمئنة.

- علينا أولاً أنا وصديقي واطسون أن نمضي اللّيلة في غرفتكِ.

أصابتني الدَّهشة لسماع ذلك، كما دُهشتْ الآنسة ستونر أيضاً.

لكن هولمز تابع قائلاً: هذا مهمٌ جدّاً. وسوف أشرح لكما الأسباب.

أعتقد أنَّ هذا هو نزل البلدة هناك، أليس كذلك؟

– نعم، إنّه نزل كراون.

– حسناً هل يمكن رؤية نوافذ غرف بيتكم من هناك؟

– طبعاً

– إذن عليك أن تبقي داخل غرفتك ولا تغادريها مدّعية أنّك تعانين من صداع عندما يعود زوج والدتك.

وحالما تتأكّدين أنّه نام، افتحي مصراعي نافذتكِ وأشعلي المصباح كإشارةٍ لنا ثمَّ اخرجي مصطحبةً معكِ ما قد تحتاجينه إلى الغرفة التي كُنتِ تستخدمينها سابقاً.

أعتقد أنّ المبيت فيها ممكن لليلةٍ واحدةٍ رغم أعمال التّرميم الجاريّة.

– نعم بالتّأكيد.

– ودَعي الباقي علينا.

– ماذا ستفعلان؟

– سنمضي اللّيلة في غرفتكِ لنتحقَّق من الصّوت الذي يُزعِجُكِ.

- أجابت الآنسة ستونر وهي تمسك بذراع صديقي: هل لديك فكرة عن طبيعة ذلك الشّيء وماهيته؟

- ربما.

- هل يمكنك أن تخبرني إذن ما سبب وفاة شقيقتي؟

- أفضِّل أن أنتظر الحصول على الأدلّة قبل أن أحكم على الأمر.

- أخبرني على الأقل هل شكوكي بمحلها وهل ماتت أختي نتيجة صدمة رعب؟

- لا، لا أعتقد ذلك. لقد حان الوقت كي نذهب، آنسة ستونر، الوداع، وكوني شجاعة.

لم يكن من الصعب أن نجد في نزل كراون غرفة نوم وأخرى للجلوس.

كانت الغرفتان في الطّابق الثّاني قبالة الجناح المسكون من منزل ستوك موران.

وعند الغروب، شاهدنا الدكتور رويلوت يعود إلى المنزل.



جلسنا في الغرفة بعد أن أطفأنا المصباح لنتمكّن من رؤية ما يجري في الخارج وبالتّحديد في منزل ستوك موران.

بعد ذلك قال هولمز: أتعلم أمراً يا واطسون. أنا قلق قليلاً من اصطحابك معي هذه اللّيلة، فالمسألة تحمل مخاطرةً من نوعٍ ما.

- هل هناك دور يجب أن أطلع به؟

- وجودك سيكون مهمّاً وحاسماً.

- إذن سأذهب بدون تردُّد.

- هذا لطف منك. كنت أعلم أنّنا سنجد فتحة تهوية حتّى قبل أن نصل إلى ستوك موران.

- هولمز! بالله عليك!

- أقسم لك. ألا تذكر أنّها قالت لنا أمس أنَّ شقيقتها كانت تشم رائحة سيجار الدكتور رويلوت؟

هذا يعني أنّ ثمّة فتحة تهوية بين الغرفتين، فتحة صغيرة على الأرجح، وإلا لتمّ اكتشافها من قبل المحقق. عندها استنتجتُ أنّها فتحة تهوية صغيرة.

- وما الغريب فيها بكل الأحوال؟

- الواقع أنّ تزامن بعض الأمور هو الغريب في الموضوع، وليس وجودها بحد ذاته.

- لا أرى حتَّى الآن أي علاقة أو رابط بين هذه الأمور.

- ألم تلاحظ شيئاً بشأن السَّرير؟

- لا.

- إنَّه مثبَّت بالأرض. هل سبق لكَ أن رأيتَ سريراً مثبّتاً بالأرض من قبل؟!

- إطلاقاً.

- لم يكن باستطاعة الشّابة نقل سريرها وكانت مضطرة أن تُبقيه في مكانه دون أن تتمكَّن من تحريكه، وهو بذلك يبقى ثابتاً في مكانه بالنّسبة لفتحة التّهوية والحبل، حبل الجرس.

- عندها هتفتُ قائلاً: أعتقدُ أنّي بدأتُ أفهم إلى ما تُلمِّح إليه يا هولمز. فعلاً لقد حضرنا في الوقت المناسب لمنع وقوع جريمة قتل رهيبة وذكيّة جداً.

- نعم ذكيّة جدّاً ورهيبة. إنّ هذا الطّبيب يملك أعصاباً فولاذية ومعرفة واسعة.

إنَّه يُسدِّد ضربات موجعة، لكنّي أعتقد أنَّنا سنوجِّهُ له ضربةً قاضيةً وموجعة أكثر من ضرباته يا واطسون.

دعنا الآن ندخِّن تبغ هذا الغليون بهدوء ونحاول التّرويح عن أنفسنا قليلاً بانتظار ساعة الصّفر.

في حوالي السّاعة التّاسعة مساءً، أَطفئتُ الأنوار بين الأشجار وغرق منزل ستوك موران في الظّلام.

وبعد مرور ساعتين أي قرابة الحادية عشرة ليلاً رأينا ضوء المصباح في غرفة الآنسة ستونر.

نهض هولمز بسرعةٍ قائلاً: إنّها الإشارة المتفق عليها وهي آتية من غرفة الآنسة ستونر، الغرفة الوسطى.

همستُ بأذن صديقي: يا إلهي! هل رأيت هذا؟

ذُعر هولمز مثلي، لكنّه سرعان ما بدأ يضحك بشدة لكن بصوتٍ خافتٍ شارحاً لي ما حدث.

- إنّه القرد (الربّاح).



أعترف أنّي لم أشعر بزوال الخوف والارتياح إلا بعد أن تبِعتُ هولمز، وخلعتُ حذائي حتّى وصلتُ إلى الغرفة المنشودة.

أقفل صديقي مصراعي النّافذة التي دخلنا منها دون أن يُحدث أدنى ضجّة، ثمّ نقل المصباح إلى الطّاولة وأخذ يتفحّص الغرفة بنظره مُدقِّقاً بكل شيء.

أخيراً همس قائلاً: إنّ صدور أدنى ضجّة عنا قد يؤدي للقضاء علينا.

هززتُ رأسي كعلامةٍ على إدراك خطورة الموقف والموافقة على رأي هولمز في ذات الوقت.

- سنقبع في الظلام ونراقب ما يحدث عبر فتحة التّهوية.

هززتُ رأسي بالموافقة والتَّفهم مرةً أخرى.

- حاول ألا تغفو حتّى لا تُعرِّض حياتك للخطر. أرجو أن يكون مسدسكَ جاهزاً فربما احتجنا إليه. سأجلس أنا عند طرف السّرير وأنت على الكرسي.

أخرجتُ مُسدسي من جرابه ووضعته على طرف الطّاولة.

فجأةً لمع ضوءٌ عبر فتحة التَّهوية لكنّه سرعان ما تلاشى ثمّ بدأنا نشم رائحة زيتٍ محترقٍ ومعدن يتم تسخينه.

لا شك أنّ أحدهم قد أنار مصباحاً في الغرفة المجاورة. سمعتُ بعدها صوت حركة ثمّ عاد الصّمت، لكن الرّائحة أخذت تزداد قوّةً شيئاً فشيئاً.

اعتدلتُ في جلستي وأنا بحالة ترقُّب وسمعي مرهف إلى أبعد حد لمدة نصف ساعة.

ثمّ سمعتُ فجأةً صوتاً رقيقاً جداً يكسر الصَّمت. كان الصّوت أشبه بانطلاق البخار من جسم صغيرٍ كإبريق الشّاي.

وما أن سمعنا هذا الصّوت حتّى تحرّك هولمز ونهض عن السّرير ثمَّ ضغط بقوَّةٍ على حبل الجرس بواسطة عصاه.

ثمَّ صرخ قائلاً: أترى هذا يا واطسون؟ أتراه؟!

لم أكن أرى شيئاً سوى وجه هولمز الشّاحب المشمئز من شيءٍ ما.



توقَّف عند الحبل وأخذ يحدِّق في فتحة التّهوية عندما مزّقت صرخةً رهيبةً سكون اللّيل، صرخة بلغت من الشدّة بحيث عرفنا فيما بعد أنّها جعلت جميع أهل البلدة يستيقظون فزعين من نومهم.

تجمّد الدَّم في عروقنا ومكثتُ في مكاني أنظر إلى هولمز وهو ينظر إلي حتّى تلاشت آخر أصداء تلك الصّرخة الرّهيبة كما ظهرت فجأة.

- ماذا يعني هذا؟

- أجاب هولمز: هذا معناه أنَّ كل شيء قد انتهى. لعلّ هذا أفضل.

أحضر المسدّس. سنذهب إلى غرفة الدكتور وريلوت.

أضاء المصباح وتحرّكنا معاً على ضوءه لنخرج من الغرفة ونقطع الممر حتّى وصلنا إلى باب غرفته.

قرع هولمز الباب مرّتين لكنّنا لم نتلقَ أي جواب. عندها فتح هولمز الباب ودخل فتبعتُهُ حاملاً مسدسي الجاهز لإطلاق النّار في يدي.



وما أن أصبحنا في الدّاخل حتّى رأينا منظراً بغاية الفظاعة، منظراً لم أشاهد شيئاً بفظاعته في حياتي كلها.

كان الدكتور وريلوت جالساً على الكرسي الخشبي قرب الطّاولة يضع على كتفيه عباءةً رماديةً طويلةً.

كان مربوط على رأسه بحيث يعلو حاجبيه شريط أصفر اللّون غريب الشّكل عليه بقع ورقط بنيّة، وكان مربوطاً على رأس الدكتور وريلوت بإحكام. لم يتحرّك عندما دخلنا الغرفة حتّى أنّه لم ينبس ببنت شفة.

همس هولمز: الشّريط! الشّريط المرقّط!

تراجعتُ خطوة للوراء وفجأة بدأ غطاء رأس الدكتور وريلوت الغريب يتحرّك وظهرت من بين شعره أفعى كريهةً ذات رأس بشكل الألماسة وعنق منتفخ.

صرخ هولمز: إنّها أفعى المستنقعات، الأكثر فتكاً في كل الهند.

لقد تُوفي بعد عشر ثوان من لسعتها.

إنّ المثل القائل انقلب السحر على السّاحر صحيح فمن يقوم بالعنف يرتد العنف عليه، ومن يحفر حفرةً لأخيه يقع فيها.

علينا أن نعيد الأفعى إلى جحرها وبعد ذلك علينا أن نصطحب الآنسة ستونر إلى مكانٍ آمنٍ بعيد عن هذا المنزل. وبعد ذلك نخبر الشّرطة بما حدث.

هذا ما حدث وتلك هي وقائع وفاة الدكتور وريلوت من ستوك موران. لا داعي لأطيل عليكم سرد القصة كلّها من نقل الخبر للفتاة المسكينة المذعورة، وكيف نقلناها على متن رحلة القطار الصّباحيّة إلى حيث تقيم خالتها في هارو

لتعتني بها، وكيف توصّل التّحقيق الرّسمي للشرطة وبعد وقتٍ طويل إلى استنتاج أنَّ الدّكتور وريلوت لاقى حتفه نتيجة تعامله مع حيوان خطير.

وقد أطلعني شارلوك هولمز على ما فاتني من تفاصيل عندما كنا بطريق العودة في اليوم التّالي. فقد قال لي: لقد لفتت فتحة التهوية انتباهي فوراً إضافةً إلى حبل الجرس المتدلي من فوق السّرير.

وازدادت شكوكي عندما اكتشفتُ أنَّ السّرير مثبتٌ على الأرض ولا يمكن تحريكه من مكانه أو تغييره.

فأدركتُ أنّ حبل الجرس يعمل كجسرٍ بفسح الطّريق في الفجوة لعبور جسم ما أو شيء ما، وسرعان ما تبادر إلى ذهني أنّ المخلوق أو الشّيء الخطير الذي قد يتسلّل عبر فتحة تهوية ضيِّقة كهذه لن يكون إلا أفعى.

وهذا بالإضافة إلى علمي أنّ الدكتور وريلوت قام باستيراد حيوانات من الهند، ما جعلني أتأكد أنّي أسير بالاتّجاه الصّحيح وبدت لي فكرة استخدام سم لا يمكن لأي مخبر اكتشافه فكرةً سديدةً قد تتبادر إلى ذهن أي

إنسـان ذكـي. كـما أنّ سرعة سريـان السُّـم سـتكون مفيدة في هذا السّياق.

بعد ذلك فكّرت بذلك الصّفير الخافت.

وكان السّـبب لذلـك الصّفير حاجـة الدكتـور وريلـوت إلى إعـادة الأفعـى إلى جحرهـا أو المـكان الـذي يحفظهـا فيـه قبل صباح اليوم التّالي حتّى لا تراه الضّحية.

لقـد درّب الدكتـور وريلـوت الأفعـى وروّضهـا عـن طريـق الحليـب عـلى مـا يبدو كـما تبـيَّن لنـا وذلك كـي تعود إليه حالما يستدعيها.

كان يمرِّرهـا عـبر فتحـة التّهويـة في الوقـت المناسـب، بحيـث تزحـف عـلى امتـداد الحبـل وصـولاً إلى السّريـر. وعندهـا قد تلسـع مـن بالسّرير أو قـد لا تلسـعه لكنّها عندما تزوره أكثر من مرّة فلا بد أن تلسعه في أحد اللّيالي.

لقـد توصّلـتُ إلى هذه الاسـتنتاجات حتّى قبـل أن أدخل إلى الغرفة.

فقـد أثبـت فحـص كرسـيّه أنّـه كان يقف عليـه للوصول إلى فتحة التّهوية طبعاً.

كما أنّ وجود الخزنة ووعاء الحليب كانا كافيين لتبديد أي شكوك كانت لا تزال تساورني.

أمّا الصّوت المعدني الذي سمعته الآنسة ستونر فهو ناجم عن إقفال الدكتور ريلوت الخزنة على الأفعى بسرعةٍ كبيرةٍ.

وما أن تأكّدتُ من كل هذا، اتّخذتُ الخطوات التي كنتَ أنتَ معي في تنفيذها لإثبات الأمر.

وعندما سمعتُ فحيح الأفعى، مثلك تماماً كما أظن، أضأتَ المصباح فوراً وضربتها بالعصا.

- فقلت له: وذلك ما جعلها تعود أدراجها عبر فتحة التّهوية.

- فأجاب: كما جعلتها أيضاً تنقلب على سيِّدها القابع عند الجانب الآخر من فتحة التّهوية ولا شك أنّي المسؤول عن موت الدكتور ريلوت كنتيجةٍ لما حدث وهي نتيجة لن يعذبني ضميري كثيراً بسببها.

• انتهى •